عبد الإله فهد: أستانة والتقاعس الدولي

alqabas.com/article/420216-أستانة-والتقاعس-الدولي

بعد الإخفاق في تحقيق أي تقدم في الملف السوري عبر مباحثات جنيف، وعدم الوصول إلى أي نتائج تذكر، بسبب تعنت نظام بشار الأسد وحلفائه من جهة، وبسبب التباينات بين الدول الإقليمية والمجتمع الدولي، وبسبب فشل مجلس الأمن والجمعية العمومية للأمم المتحدة والجامعة العربية في تنفيذ أي من قراراتها وأهمها القراران (2118 و2254)، إضافة إلى غياب الدور الاميركي من جهة ثانية، وبعد تطور الوقائع وانتقالها من ثورة شعب يسعى لتحقيق تطلعات ومطالب محددة، إلى صراع واحتلال من قبل إيران وروسيا، ودخول تنظيم الدولة (داعش) واحتلاله مساحات واسعة من سوريا، ونشوب حرب بالوكالة ليس للسوريون فيها لا ناقة ولا جمل سوى دفع الفاتورة باهظة الثمن: مئات آلاف الشهداء وملايين اللاجئين والمهجرين وتدمير محافظات بأكملها. بعد ذلك؛ أدركت تركيا التي تحملت العبء الأكبر في الحرب الدائرة في سوريا وتبعاتها؛ أنه لا بد من البحث عن مخرج يوقف التهديد الذي يتعرض له الأمن القومي التركي من جهة، ووقف شلال الدم السوري من جهة ثانية. بعد كل ذلك أيضاً، وعلى خلفية استمرار تورطها في الحرب، أدركت روسيا أن انتظار محادثات جنيف لن يفيدها بشيء، وأن المزيد من الوقت لن يزيد تورطها إلا تورطاً؛ وجاء القرار التركي الروسي عبر اتفاق الرئيسين التركي الروسي على البحث عن مسار جديد من أجل الوصول إلى إيقاف القتل أولاً، وتم الاتفاق على إطلاق محادثات في دولة ليست طرفاً في هذه الحرب، وتم اختيار كازاخستان لتبدأ فيها الجولة الأولى في 23 يناير 2017 ثم تتابعت الجولات في 6 فبراير، و15 مارس، و3 مايو، و4 يوليو من العام نفسه. دعيت إيران إلى المباحثات كونها طرف في الحرب، ومن ثم دعي الأردن بصفة مراقب، وكذلك انحصر التمثيل الأميركي في دور المراقبة لمجريات الأمور.. المبعوث الدولي إلى سوريا ستيفان دي مستورا وفريقه انضموا لتيسير الجلسات والمشاركة بصياغة المخرجات في خطوة جاءت بعد تحقق بعض التقدم.

خلال فترة المباحثات حصلت خروقات كثيرة جاء على رأسها تهجير السكان في مناطق جنوب دمشق، وكذلك تهجير سكان حي الوعر في مدينة حمص إلى ريفي إدلب وحلب. خرق رهيب جرى أيضاً عندما قصفت طائرات النظام مدينة خان شيخون في ريف إدلب بالسلاح الكيماوي، إضافة إلى هجوم النظام على غوطة دمشق بدعم من ميليشيا حزب الله والميليشيات العراقية والإيرانية الأخرى المتواجدة على الأرض السورية.

جدول أعمال مباحثات أستانة كان يتمحور حول وقف إطلاق النار وتثبيت خطوط التماس والنظر في آليات المراقبة، لكن وإضافة إلى ذلك تمت أيضاً مناقشة ملف المعتقلين. الروس حاولوا أكثر من مرة طرح مسألة الدستور الجديد للنقاش، إلا أن فصائل الجيش السوري الحر وكذلك الجانب التركي، رفضوا ذلك، معتبرين أن هذا الأمر متروك للشعب السوري من خلال لجنة لصياغة الدستور وطرحها للشعب السوري للتصويت كما هو في جميع القوانين والأعراف الدولية، وعلى العموم رفض ممثلو الجيش السوري الحر الدخول في أي مباحثات سياسية باعتبار أن هذا الملف مخصص لمباحثات جنيف.

يمكن وصف النتائج التي تمخضت عنها مباحثات أستانة بشكل عام بأنها جيدة، فقد حققت الأهداف المرسومة لها من خلال التفاهم التركي الروسي الإيراني، وسأقف باختصار على بعض من النتائج:

- قتال جميع الأطراف لتنظيم داعش، وتحرير مناطق واسعة من سيطرة التنظيم بفضل عملية "درع الفرات" التي جرت بالتحالف ما بين الجيش التركي والجيش السوري الحر.
- الاتفاق على نقاط تماس بين نظام بشار الأسد والمعارضة المسلحة بضمان الدول الراعية، وهي نقاط صامدة إلى نسبة معينة.
- وضع آليات مراقبة للخروقات من قبل أي من الأطراف المتحاربة.
- وقف القتل في سوريا، حيث انخفض عدد القتلى حسب إحصائيات الدول الراعية لأستانة لأكثر من تسعين بالمئة.
- كذلك تم منع حزب الاتحاد الديموقراطي الكردستاني (pyd) من التقدم والاستيلاء على مناطق جديدة عند الشريط الحدودي السوري – التركي والذي شكل تهديداً مباشراً لتركيا من ناحية، واستخدم لتهجير السكان العرب أصحاب هذا الشريط من ناحية ثانية.
- منع النظام من اجتياح مناطق المعارضة، خصوصاً بعد الاتفاق الأميركي الروسي الذي عُرف باسم اتفاق (كيري - لافروف) والذي قضى بخروج المحاصرين من مدينة حلب وتسليمها لنظام بشار الأسد بحماية روسية.

يمكن القول بأن هذه المباحثات وهذه النتائج مع أنها أحدثت تطوراً ملموساً في تفكيك بعض العقد، إلا أنها لم تصل إلى المستوى المطلوب، حيث فشل الاتفاق في تنفيذ بنوده على جميع الأراضي السورية، وبقيت المناطق الجنوبية بعيدة عن تطبيق أي من البنود السابقة، لأسباب داخلية وخارجية، وتأجل أمرها إلى حين التوصل إلى اتفاق آخر بين أميركا وروسيا والأردن بشكل مستقل عن اتفاق أستانة، فيما عرف باتفاق الجنوب، حيث تحقق وقف الحرب الدامية في مدينة درعا بشكل خاص وريفها بشكل عام، إذ لا تزال بقية تفاصيله غامضة وغير معلنة إلى الآن.

الجولة الأخيرة من مباحثات أستانة اختتمت قبل أيام.. مواقف الدول الراعية ظلت متباينة حول القوات التي ستدخل إلى سوريا لتؤمن مناطق التماس بكل ما يمثله ذلك التباين من تهديد قد يؤدي إلى نسف الاتفاق بالكامل، التهديد يأتي من مكان آخر أيضاً، فرغم انفصال مسار الأستانة عن مسار جنيف إلا أن اختتام مفاوضات جنيف أيضاً قبل يومين دون أي تقدم يذكر، يبعث مخاوف محقة يبدو أن المجتمع الدولي لا يزال غير مكترث لها.

المراوحة في المكان تكشف في الحقيقة عن مواقف دولية غير ناضجة رغم أن المناخ يبدو مواتياً لتحركات جدية. المراوحة تكشف أيضاً عن فشل في إدراك خطورة الوضع وعلاقته العضوية بمشاكل وأزمات أخرى جارية الآن وأخرى لا يمكن إلا أن تتولد لاحقاً بسبب الفشل المستمر نفسه.

عبد الإله فهد
الأمين العام السابق للائتلاف الوطني السوري